

أما العير التي من أجلها خرج الفريقان، فقد انحدر بها أبو سفيان إلى ساحل البحر فنجا بها. وكان في هذا كفاية لأن يرجع المسلمون ويرجع المشركون، إذ فات الغرض الذي كان يهدف له كلا الفريقين؛ ولكن الله تدبيراً فوق تدبير البشر، وإرادة تحيط بإرادات الناس، وله الحكمة العليا في كل ما يدبر وما يريد؛ فقد جمع بين الفريقين على غير موعد، ودبر بينهما أسباب اللقاء على قلة المؤمنين وضعف عدتهم، وكثرة المشركين وقوة استعدادهم، ليكون هذا اللقاء العجيب - الذي اجتمعت فيه كل عوامل النصر الظاهرية في جانب المشركين، وكل عوامل الهزيمة الظاهرية في جانب المؤمنين - فُرْقَاناً بين الحق والباطل، وميزاناً يزن به الناس أسباب النصر والهزيمة في حقيقتها لا في ظواهرها... فليست كثرة العدد، ولا ضخامة الاستعداد، ولا قوة الدعاية، هي السبب الحقيقي في النصر.. إنما أسباب النصر في صلاح العقيدة، وقوة الإيمان بها، وطول الصبر عليها، وصدق الجهاد في سبيلها، وإن بلغت القلة المؤمنة ما بلغت من الضعف، وبلغت الكثرة الكافرة ما بلغت من القوة: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتَمَكَّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(١).

(١) سورة القصص آيتا ٦٠، ٦١.